



MIDDLE EAST RESEARCH AND STUDIES

Source : AN-NAHAR
Date : 27-6-96
Photo No. : 123

مكانة مصر ومعصيتها

عندما يراجع المرء لائحة الامناء العالمين الذين توالوا على رأس هرم الامم المتحدة منذ انشائها، وحتى انتخاب بطرس بطرس غالي، يلاحظ بالضرورة انهم كلهم ينتمون الى دول حيادية او محايدة، بمعنى أن سياستها الخارجية تكاد تنحصر في محيطها المباشر ولا تتخطاه الا من خلال أداء دور الوسيط الحسن النية. لذلك، كان انتخاب بطرس غالي ابلن حرب الخليج حدثا ملتبسا. فإذا كان أمكن اعتباره آنذاك "انتصارا" لمصر او مكافأة لها على دورها في ترتيب البيت العربي تحت سقف النظام العالمي الجديد، إلا انه كان يمكن أيضا قراءته كدليل على غياب العالم العربي كعامل فاعل على الساحة الدولية. فعندما يقبل بديبلوماسية عربي في دور الوسيط العالمي الأول، فإن ذلك يعني، بفض النظر عن المعيته وخصوصيته، ان الدولة التي ينتمي اليها لم تعد طرفا في أي من الملفات العالمية.

يعود هذا التحليل الى الذهن اليوم بعد صدور "الحكم" الاميركي على الأمين العام. بالتأكيد وراء هذا القرار اسباب تتصل بشخصية المحكوم عليه، وبدوره في بعض الملفات، وأخرها التقرير حول مجزرة قانا. ولكن، ألا يجوز أيضا اعتباره ايدانا بقراءة اميركية مستجدة للدور المصري، بل للعامل العربي عموما؟

قد يكون الإعلان عن نية البيت الابيض استخدام حق الفيتو ضد التجديد لبطرس غالي وقت كانت القاهرة تستقبل القمة العربية الأولى منذ خمس سنوات مجرد صدفة. ولا تدفع ظروف انعقاد هذه القمة ولا نتائجها الى الذهاب ابعد من ذلك. فاجتماع "الملوك والرؤساء" بقي تحت السقف الأميركي المعلن. لم يدع العراق، ولم تبادر القمة الى أي خطوة في اتجاه استعادته. لم يبحث في أي مشروع حربي او حتى تسليحي لموازنة التشدد الإسرائيلي الجديد. والأهم من ذلك أن الدول العربية مجتمعة بقيت ملتزمة النهج الأميركي للتسوية السلمية. أما ان يعتبر "فك العزلة" عن سوريا عملا معاديا للولايات المتحدة، فهذا تجاوز للحقيقة لا يبرره شيء. فعزل سوريا ليس سياسة اميركية حتى الآن، على رغم احياءات وارن كريستوفر ومباركة الولايات المتحدة الحلف الاسرائيلي- التركي. ثم ان تحصين سوريا تم على اساس التمسك بعملية التسوية. أكثر من ذلك، دفعت سوريا ثمن هذا التضامن من خلال سحب اعتراضها المزمع على اتفاق اوسلو والمعاهدة الاسرائيلية - الاردنية.

أين "المعصية" المصرية إذا؟ هل هي في رعاية حوار عربي - عربي مباشر لا يخضع تلقائيا لجدول الأعمال الأميركي؟ لا شك في ان اي احياء لما كان يسمى "العمل العربي المشترك" يعيد قدرا من الاستقلالية الى الدول العربية في شكل عام، بتخفيفه من قدرة الضغط الأميركي على كل دولة منفردة. كما انه يعطي المزيد من الفاعلية للطموح المصري الى استعادة مكانة سياسية في المنطقة العربية وخارج اطار البرمجة الأميركية.

ربما كان التزام بين القمة والقرار الأميركي بإعدام بطرس غالي صدفة. لكن ما ليس صدفة بالتأكيد هو تسرب معلومات اسرائيلية وأميركية عن شراء مصر صواريخ متوسطة المدى غداة القمة مباشرة، بما يذكر بالنسجال الطويل الذي دار العام الماضي حول ابرام معاهدة عدم نشر الأسلحة النووية، والذي كان مناسبة لإعلان مصر رغبتها في اداء دور القوة الاقليمية الأولى.

عندما تبدو مصر هكذا، تتحرق للخروج من وضعية الراعي الاقليمي المساعد للنظام الأميركي وتجهد لأن يغي التاريخ مجددا بوعود جغرافيتها، يكون من المنطقي ان تصبح "مصرية" ألمع دبلوماسية سببا في اقصائه بعدما كانت مبررا للقبول به.

سمير قصير